

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٧٥ : العفو .

لـفـضـيـلـةـ الـدـكـتـورـ مـحـمـدـ رـاتـبـ النـابـلـسـيـ بـتـارـيـخـ:ـ ٢٧ـ-١٢ـ-١٩٩١ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحْمَدُهُ ، ونستعين بِهِ ونسترشدُهُ ، وننحوذُ بِهِ مِن شرورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلٌ لَهُ ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرْشِدًا . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِقْرَارًا بِرَبوبِيَّتِهِ وَإِرْغَامًا لِمَنْ جَدَ بِهِ وَكُفْرًا . وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَسُولَ اللَّهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنُ بَنْظَرٍ أَوْ سَمِعَتْ أَذْنُ بَخْرٍ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ وَمَنْ وَالَّهُ وَمَنْ تَبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . اللَّهُمَّ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْتَنَا إِنْكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْتَنَا وَزَدْنَا عِلْمًا ، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ باطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَاجْعَلْنَا مم—ن يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

العفو :

أيها الأخوة الكرام ؛ الله جل في علاه غفور رحيم ، عفو كريم ، عفو غفور ، يغفر عن السيئات ،
ويغفر عن كثير ، فإذا تاب العبد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه ، وجوارحه ، وبقاع الأرض كلها
خطاياه وذنوبه .

العفو أبلغ من المغفرة ، لأن الغفران يُشعر بالستر ، بينما العفو يُشعر بالمحو ، والمحو أبلغ من الستر ، وقد ألمَ الحق حـلـامـنـهـ عـلـيـهـ الـحـلـامـ وـالـسـلـامـ وـالـعـفـوـ وـالـصـفـحـ ، فـقـالـ تـحـالـاـ :

خُذْ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْحَاهِنِ

[١٩٩] **النحو الأعمالي** :

وَقَالَ أَيْضًا :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحُ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ

[سورة الحجر : ٨٥]

وقد فهم النبي عليه الصلاة والسلام العفو بأن تعطي من حرمك ، وأن تصل من قطعك ، وأن تعفو عن ظلمك ، وقد ألم الله المؤمنين بما ألم به المؤمنين ، فقال : حلّ من قياماً :

فَاعْفُوا وَاصْفِحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ أَمْرُهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

[١٦٩ - القدر : مقدمة]

مَقْدِسٌ

﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدَةُ أَنْ يُوتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة التور : ٢٢]

لماذا يعفو الناس وينتقم الآخرون؟ . . إذا اتصل الإنسان بالله العفو الكريم يشتق منه بعضاً من هذا الخلق العظيم ، وإذا استقرت الرحمة في قلب الإنسان فإنها تقip حتى على خصومه بالعفو والغفران ، فيصبح العفو أحب إليه من الانتقام ، وإذا عرف الإنسان أن خصميه بشكل أو بأخر آخر له في الإنسانية فإذا انتقم منه خسره ، وإذا عفا عنه ربه ، ولأن يربح الإنسان أخيه أفضل له من أن يربح الدنيا وما فيها ، عندئذ يرى في العفو معنى وفي الانتقام مغرماً ، وإذا أيقن الإنسان أن العفو سلماً يرقى به إلى عز الدنيا والآخرة ، وأن الانتقام دركات يهوي بها إلى ذلة ومقت يلاحقه حتى الممات آثر العفو على الانتقام ، وإذا علم أبناء المجتمع الواحد أنه بالعفو تتسع دائرة الصداقات والمواءمات ، فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعض ، وبالانتقام تتشو العداوات والأحقاد ، حتى تصل بالمجتمع إلى أحط الدركات ، صار العفو ديدنهم . ومن عادة الكريم أنه إذا قدر غفر ، وإذا رأى زلة ستر ، فلا سؤدد مع الانتقام ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العفو ، وأقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب ، وكفى بالمرء إثماً أن يغضب إذا قيل له : اتق الله ، ولا يُعرف الحكيم إلا عند الغضب .

وقيل ل الخليفة عُرف بالحلم ، إنني آنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ، وقيل لابن المبارك رحمة الله تعالى : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة ، فقال : ترك الغضب . وقال الأخفف بن قيس : إياكم ورأي الأوغاد ، فقيل وما رأي الأوغاد؟ قال : الذين يرون العفو عاراً ومحماً .

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف وتاب بما قد جناه وافتقر
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف

عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة :

تعالوا بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أسوتنا الحسنة ، وقدوتنا الصالحة ، ومثلنا الأعلى الذي بعثه الله معلماً للبشرية ، ورحمة للإنسانية ، تعالوا بنا لنرى هذا النبي العظيم ، والمعلم الكريم وهو يدخل مكة فاتحاً ، يدخل مكة وقد اتّمرت على قته ، مكة التي أخرجته ، مكة التي عذبت أصحابه ، مكة التي نكلت بأصحابه ، مكة التي قاطعته ، مكة التي كذبته ، مكة التي قاتلتة في بدر وأحد والخندق ، مكة التي أثبت عليه العرب جميعاً ، لقد ألقى أهلها السلاح ، ومدوا إليه أعناقهم ، ليحكم فيها بما يرى ، إنهم في قبضته ، أمره نافذ في رقبتهم ، حياتهم جميعاً معلقة بين شفتيه ، وهذه العشرة آلاف سيف تتوهج يوم فتح مكة فوق رباها ، تأنمر بأمره ، وتتنظر إشارة

منه ، إنها تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في لمح البصر ، لقد دخلها يوم الفتح الأعظم دخول المتأذبين الشاكرين ، معترفاً بعظم الفضل ، ولم يدخلها دخول المتكبرين المتجررين ثملاً بنشوء النصر .

لقد سار النبي صلى الله عليه وسلم في موكب النصر ، يوم فتح مكة حانياً رأسه ، حتى تعذر على الناس رؤية وجهه ، بل كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بيته ، مردداً بينه وبين نفسه ابتهالات الشكر المبللة بدموعه . . سأله أعداءه بعد أن استقر به المقام : يا معاشر قريش ، يا أهل مكة ، فasherabit إلية الأعناق ، وزاغت عند سؤاله الأبصار ، سألهما : ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ . . وصاحت الجموع الوجلة ، بكلمة واحدة كانوا على اتفاق بتريدها ، قالوا : خيراً . . أخْ
كريم وابن أخِّ كريم ، فقال : اذهبا فأنتم الطلقاء . .

لقد غُمر المذنبون الذين كانوا ينتظرون القصاص ويستحقونه بأجل عفو ، وأجمل صفح ، حتى قال أبو سفيان الذي ناصب رسول الله العداء أعواماً طويلاً : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما أرحمك ! وما أحلمك ! وما أحكمك ! وما أصلك ! وما أكرمك ! .

يا سيدي يا رسول الله ، ما أجمل عفوك عند المقدرة ، ما أعظم نفسك التي سمت كل هذا السمو فارتقت فوق الحقد وفوق الانتقام ، لقد ترتفعت عن كل عاطفة دنيا ، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الإنسان . لم تكن تعرف العداوة ، بل لم تكن تريده أن تقوم بين الناس ، لقد مكناك الله من عدوك ، فقررت وعفوت ، فضررت بذلك للعالم كله ولأجياله جميعاً ، مثلاً أعلى في العفو والصفح ، فلم تجعل من يوم الفتح يوم تشفٍ وانتقام ، بل جعلته يوم برٌ ورحمة وسلام .

عفوه صلی الله عليه وسلم عن أهل مكة يذكرنا بعفوه عن أهل الطائف ، الذين كذبوه أشد التكذيب ، واستخفوا بدعوته ، واستهزؤوا بها ، بل أغروا به سفهاءهم وصبيانهم ، جاءه جبريل الأمين واستأنده أن يطبق عليهم الجليلين ، مما زاد عن أن قال : " لا يا أخي . اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده ويعبده " ، لقد عفا عنهم ، واعتذر عنهم ، وتوصي بأنائهم الخير .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا عن عفوه الجماعي ، فماذا عن عفوه الفردي ؟ . .

عفوه الفردي صلی الله عليه وسلم :

يتجلّى عفوه الفردي بالصفح عن نفر من المشركين بالغوا في عداوتهم ، وفي أذيّتهم ، ويوم فتح مكة صافت عليهم الأرض بما رحب ، وصافت عليهم أنفسهم ، وهاموا على وجوههم ، ومن هؤلاء صفوان بن أمية الذي شدَّ رحاله صوب جدَّة ، ليحرر منها إلى اليمين ، واشتد إشراق صديقه عمير بن وهب عليه ، وصمم أن يسترده من يد الشيطان بكل وسيلة وإمكان ، ذهب مسرعاً إلى رسول الله صلی الله عليه وسلم وقال : يا نبی الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج

هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه ، صلى الله عليك . فقال عليه الصلاة والسلام : هو آمن .
قال : يا رسول الله أعطني آيةً يعرف بها أمانك ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر . فقال : يا صفوان ، فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ، إن رسول الله أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، عزّه عزك ، وشرفه شرفك . قال صفوان : إني خاف على نفسي . فقال : هو أحل من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال صفوان لرسول الله : إن هذا يزعم أنك أمنتي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق . قال صفوان : فاجعلني في الخيار شهرين . فقال عليه الصلاة والسلام : أنت في الخيار أربعة أشهر ، وفيما بعد أسلم صفوان وحسن إسلامه .

أيها الأخوة الأكارم ؛ لقد عفا صلى الله عليه وسلم عن الكباء وعن الدهماء على حد سواء ، فقد روي أن أعرابياً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئاً ، فأعطاه ثم قال له : ((أحسنت إليك ؟) فـقال الأعرابي : لا ولا أجملت ، فغضب المسلمين ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم صلى الله عليه وسلم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ، فأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال له عليه الصلاة والسلام : إنك قلت ما قلت آنفاً وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك ، قال : نعم ، فلما كان الغد جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضي ، وكذلك يا أعرابي ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، عندها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورة ، فناداهم صاحب الناقة خلوا بيوني وبين ناقتي إرافق وأعلم ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً حتى جاعت واستناخت وشدَّ عليها رحلها واستوى عليها ، وإنني لو تركتم حيث قال الرجل ما قال فقلتموه دخل النار))

[يطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف]

أيها الأخوة ؛ إن النبي عليه الصلاة والسلام لم تأخذن الدهشة لجحود الأعرابي أول الأمر ، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مردوا على الجفوة في التعبير ، والإسراع بالشر ، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم ولما كانت ظلماً ، ولكن العظام أصحاب القلوب الكبيرة لا ينتهيون بمصائر العامة إلى هذا الختام الأليم ، إنهم يفيضون من رحمتهم وحملهم على ذوي النزق حتى يلجموهم إلى الخير إلقاء .

إن هذا الأعرابي الذي اشتري النبي الكريم رضاه بهذا المال ، لا يبعد أن تراه بعد أيام وقد كلف بعمل خطير أن يقدم فيه الغالي والرخيص عن طيب خاطر ، وما المال إلا قمام الأرض ، تستناخ به الرواحل الجامحة لقطع عليها المفازات الشاسعة . روى الإمام مسلم :

((عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قطّ بيده ولما امرأه ولما خادماً إلّا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيءٌ قطٌ فينتقم من صاحبه إلّا أن ينتهاك شيءٌ من محرام الله فينتقم لله عز وجل))

[متفق عليه عن عائشة]

تلخّص الصحابة الكرام بخلق النبي في العفو والصفح :

وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم ينتقم من أحد لنفسه قط . لقد تلخّص الصحابة الكرام بأخلاق نبيهم العدنان في العفو والصفح ، فقد روى البخاري :

((أن ابن عباس رضي الله عنهمما قال : قدم عبيدة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرس بن قيس وكان من النفر الذين يدعى لهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عبيدة لابن أخيه : يا ابن أخي هل لك وجة عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ؟ قال : سأستأذن لك عليه قال ابن عباس : فاستأذن الحرس لعبيدة فاذن له عمر فلما دخل عليه قال : هي يا بن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزء ولما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحرس : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (خذ العفو وأمر بالعُرْف وأعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وإن هذا من الجاهلين والله ما جاورها عمر حين تناهَا عليه وكان وقافا عند كتاب الله))

[أنفرد به البخاري عن ابن عباس]

أورد السيوطي في الجامع الصغير حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذة ملا الله قبه أمناً وإيماناً))

[أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة ، ورمز له السيوطي بعلامة الضعف]

ثمار العفو :

انظروا إلى ثمار العفو التي نوه بها النبي صلى الله عليه وسلم إنها الأمان والإيمان ، الأمان مع الخلق ، والإيمان مع الحق ، فهذا الذي يؤثر الانتقام على العفو يجعل الجو المحيط به ضاغطاً ، وعلاقاته مع الآخرين متوتراً ، ويكون انتقامه تربة خصبة لانتقام مضاد ، فيتوقع المنتقم الشر ، وتوقع الشر شرًّا من وقوعه ، وهكذا يفقد المنتقم الأمان ، وبفقد الأمان يفقد أثمن ما في الحياة النفسية ، قال تعالى :

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْنَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ٨٢-٨١]

أما إذا آثر الرجل العفو على الانتقام فقد جعل الجو المحيط به ودياً ، وجعل علاقاته بالآخرين مريحة ، وجعل من أعدائه الأداء أصدقاء حميمين ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَسْنُوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيًّا﴾

حميم

[سورة فصلت : ٣٤]

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا عن أول ثمرة من ثمار العفو ، فماذا عن ثمرة الإيمان ؟ إن الإنسان إذا عفا عن أخيه كان أقرب إلى ربه مما لو انتقم منه ؛ لأن الخلق كلهم عبد الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ، وفي الحديث القديسي :

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقى))

[الديلمي عن أبي بكر]

إذا كانت إماتة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان فما بالك بالعفو عن إنسان حيث بالعفو عنه يُبدل خوفه وأمناً وضيقه فرجاً ويأسه أملاً ؟ إن العفو يدل على الإيمان ويؤكده ، ويزيد فيه ويجدده ، فالإنسان بنيان الله ، وملعون من هدم بنيان الله . حينما تصح التوبة ، ويتحقق الندم ، وتصدق العزيمة ، على ترك الذنب عندئذ يصبح العفو حياةً للمذنب ، كما كان القصاص حياةً للمجتمع ، ويغدو فرصة ثمينة ، بحالها المذنب ، ليؤكد صحة توبته وعظم ندمه وصدق عزيمته ، على ترك ما اقترفت يداه من الذنوب ، ويؤكد أيضاً الجانب الخير في الإنسان ، وربما أصبح هذا المذنب الذي عُفي عنه علماً من أعلام الأمة ، ومصلحاً من كبار مصلحاتها ، وقائداً فذاً من قادتها ، والتاريخ الإسلامي حافلاً بمثل أولئك المذنبين الذين عُفي عنهم فصاروا من القادة الشجعان ، والعلماء الأعلام ، والأولياء المقربين أمثال عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية .

من عكرمة بن أبي جهل ؟ . . عكرمة بن أبي جهل الذي عادى النبي أشد العداء ، وأذى أصحابه أشد الإيذاء ، وهو أحد صناديد قريش المعدودين ، وأبرز فرسانها المرموقين ، وهو ابن أبي جهل جبار مكة الأول ، وزعيم الشرك الأكبر ، لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عنه ، بل وجه أصحابه قائلاً :

((سِيَّاتِكُمْ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مَهَاجِرًا فَلَا تُسْبِوَا أَيَاهُ ، فَإِنْ سَبَّ الْمَيْتَ يَؤْذِي الْحَيْ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيْتَ))

[الحاكم عن عبد الله بن زبير]

وقد عاهد عكرمة بعد أن عُفي عنه ، عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالاً كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله .

وفي اليرموك ، لما اشتدى الكرب على المسلمين ، نزل عكرمة عن جواده وكسر سيفه ، وأوغل في صفوف الأعداء في صفوف الروم ، فبادر إليه خالد بن الوليد وقال له : لا تفعل يا عكرمة ، فإن قتالك سيكون شديداً على المسلمين ، فقال : إليك عندي يا خالد ، لقد كان لك مع

رسول الله سابقه ، أما أنا وأبي فقد كنا من أشد الناس على رسول الله ، فدعني أكفر عما سلف مني ، لقد قاتلت رسول الله في مواطن كثيرة ، وأفرّ اليوم من الروم ؟ إن هذا لن يكون أبداً .

إصلاح ذات البين :

أيها الأخوة الأكارم ؛ حديث أنس : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر : ما يضحك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : ((رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلومي من أخي ، فقال الله تعالى : أعط أخيك مظلومته ، قال : يا رب لم يبق من حسناته شيء ؟ فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال : يا رب يتحمل عني من أوزارني ، قال : وفاضت علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال : إن ذلك ل يوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال : فقال الله للطالب ارفع رأسك فانتظر في الجنة ، فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأينبي هذا ؟ أو لأي صديق هذا ؟ أو لأي شهيد هذا ؟ قال : لمن أعطاني الثمن ، قال : يا رب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكونه ، قال : وما هو ؟ قال : عفوك عن أخيك ، قال : يا رب إنني قد عفت عنه ، قال الله تعالى : خذ بيدي أخيك فأدخله الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين))

[أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في المستدرك]

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نصلح ذات بيننا ، وقد فهم بعض العلماء هذه الآية على ثلاثة مستويات ، المستوى الأول أن نصلح أنفسنا التي بين جوانحنا ، بتعريفها بربها وحملها على طاعته ، والقرب إليه كي تسعد بقربه ، والمستوى الثاني أن نصلح كل علاقة بيننا وبين الآخرين الأقرب منهم والأبعد ، عن طريق معرفة الحقوق والواجبات والوقوف عند حدود الشرع ، واعتماد العدل والإحسان ، والمستوى الثالث أن نصلح فيما بين الناس ، بحملهم على العفو والترغيب فيه ، وبيان ثماره اليائعة ونتائجها الطيبة ، ولو كلفنا وقتاً وجهداً ومالاً ، لأننا إن فعلنا فإنما نطبق أمر الله تعالى : (فانتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) فطوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلقاً للشر ، وطوبى لمن أصلح بين الناس ووفق بينهم ، وطوبى لمن استعمله الله بالخير ، فإذا أردت أن تعرف مقامك فانتظر فيم استعملك ؟

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هو اهلا وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العفو عن المساجين :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه الخطبة التي ألقيت على مسامعكم قبل قليل هي في الأصل خطبة إذاعية ألقيتها عبر إذاعة دمشق وصوت الشعب من على منبر هذا المسجد ، يوم الجمعة في السابع والعشرين من كانون الأول عام ألف وتسعمئة وتسع وثمانين ، وقد مضى عليها ثلاث سنوات إلا قليلاً ، وكنت أرجو من خلالها أن تسهم هذه الخطبة بشكل أو بآخر فيما ينتظره الناس من عفو عن المساجين ، وكأني بالناس يدعون ربهم ليلاً ونهاراً ، يدعون ربهم الذي إليه يُرجع الأمر كله أن يفك أسر المأسورين ، وأن يحسن خلاص المسجونين ، أما وقد استجاب الله لدعاء المؤمنين وصدر قانون العفو ، وأخذ طريقه إلى التنفيذ ، فنحن باسمكم جميعاً نشكر صاحب هذا القرار الحكيم ، وندعو للسيد رئيس الجمهورية أن يوفقه لما فيه خير البلاد والعباد ، وأن يهيء له بطانة خير ، ووزراء صدق ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك .
اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا .
أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر مولانا رب العالمين . اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين .
اللهم بفضلك ورحمتك أغل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين